

خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٣/١٠/٢٠٢٦

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

في الخطبة الماضية بدأت الحديث عن حياة النبي ﷺ البسيطة. كان من مظاهر بساطة النبي ﷺ أنه أحيانا كان يشتري بنفسه حاجياته الضرورية من السوق. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: «دَخَلْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمًا السُّوقَ، فَجَلَسَ إِلَى الْبَزَّازِ^١، فَاشْتَرَى سَرَاوِيلَ بِأَرْبَعَةِ دَرَاهِمَ، (لقد ترجم البعض السراويل بمعنى السراويل المتداولة عندنا، ولكنها بمعنى الباجاما الفضفاضة الواسعة) وَكَانَ لِأَهْلِ السُّوقِ وَزَّانٌ يَزِرُّ، (أي كان القماش يباع بالوزن) فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "اتَّزَنَ وَأَرْجَحَ". (أي زد وزن السلعة وإن زاد بذلك ثمنها، لأن الأحوط والأسلم أن يكون الوزن صحيحا وأن تكون كفة الشيء الموزون راجحة، وذلك مع أن الناس يريدون أن يظهر وزن السلعة قليلا لكي يكون الدفع قليلا) فَقَالَ الْوَزَّانُ: إِنَّ هَذِهِ لَكَلِمَةٌ مَا سَمِعْتُهَا مِنْ أَحَدٍ. فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقُلْتُ لَهُ: كَفَاكَ مِنَ الرَّهَقِ وَالْجَفَاءِ فِي دِينِكَ، أَلَا تَعْرِفَ نَبِيَّكَ؟ (أي بدأ أبو هريرة يخاصم الوزان ويتكلم معه بقسوة عندما أخذته الحيرة من قول النبي ﷺ) فَطَرَحَ الْمِيزَانَ وَوَثَبَ إِلَى يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ أَنْ يَقْبَلَهَا، فَحَذَفَ (أي نزع) رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ مِنْهُ فَقَالَ: "مَا هَذَا؟ إِنَّمَا يَفْعَلُ هَذَا الْأَعَاجِمُ بِمُلُوكِهَا، وَلَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ". (لما كان الرجل غريبا لذا بدا للنبي ﷺ أن نيته بتقويل يده كنية أهل الدنيا، فقال له ما هذا الذي تفعله؟ لن أسمح لك بتقويل يدي، فإني رجل منكم على كل حال) فَوَزَنَ وَأَرْجَحَ، واشترى منه رَسُولُ اللَّهِ ﷺ السَّرَاوِيلَ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَذَهَبْتُ لِأَحْمِلَهُ عَنْهُ، فَقَالَ ﷺ: "صَاحِبُ الشَّيْءِ أَحَقُّ بِشَيْئِهِ أَنْ يَحْمِلَهُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ ضَعِيفًا فَيَعْجَزَ عَنْهُ، فَيُعِينُهُ أَخُوهُ الْمُسْلِمُ". قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّكَ لَتَلْبَسُ السَّرَاوِيلَ؟ قَالَ: "أَجَلْ، فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، وَفِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَإِنِّي أُمِرْتُ بِالسِّتْرِ، فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا أَسْتَرُ مِنْهُ". أي إنه لباس رائع.

^١ البزاز: تاجر الأقمشة والنياب.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ مِنْ جَوَارِي الْأَنْصَارِ تُغَيَّيَانِ بِمَا تَقَاوَلَتِ الْأَنْصَارُ مِنَ الشَّعْرِ يَوْمَ بُعِثَ. قَبْلَ الْإِسْلَامِ، كَانَ بَيْنَ أَهْلِ يَثْرِبَ، أَيِ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ، حَرْبٌ أَهْلِيَّةٌ اسْتَمَرَّتْ طَوِيلًا، وَكَانَتْ آخِرَ مَعَارِكِهَا الَّتِي دَارَتْ بَيْنَهُمْ تَعْرِفُ بِحَرْبِ بُعَاثَ فِي تَارِيخِ الْعَرَبِ، وَقَعَتْ فِي زَمَنِ نُبُوَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم حِينَ كَانَ مَقِيمًا بِمَكَّةَ وَانْتَهَتْ قَبْلَ هِجْرَتِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ. عَلَى كُلِّ حَالٍ، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَلَيْسَتْ بِمُغَيَّيَتَيْنِ، أَيِ مِمَّنْ حَرَفْتَهُنَّ الْغَنَاءَ، بَلْ كَانَتَا مِنْ صَدِيقَاتِي. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمَزَامِيرُ الشَّيْطَانِ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَذَلِكَ فِي يَوْمٍ عِيدٍ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا، وَهَذَا عِيدُنَا". أَيِ دَعْوَاهُمَا تَغْيِيَانٍ وَلَا تَمْنَعُهُمَا. أَيِ الْجَوِّ بَسِيطٍ غَيْرٍ مُتَكَلِّفٍ وَلَيْسَ فِي الشَّعْرِ شَيْءٌ مِنَ الشَّرْكِ، فَلَا دَاعِي لِنَهْرِهِمَا وَمَنْعُهُمَا. فَسَمَحَ لهُمَا بِالْغَنَاءِ بِتِلْكَ الْآيَاتِ.

كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَسْبِقُ مَنْ لَقِيَهُ فِي الْإِقَاءِ تَحِيَّةَ السَّلَامِ، فَعَنْ هِنْدَ بِنِ أَبِي هَالَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَبْدُرُ مِنْ لَقِيهِ بِالسَّلَامِ.

بَلْ كَانَ يَسْبِقُ الْأَطْفَالَ أَيْضًا فِي السَّلَامِ: فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَرَّ عَلَى غُلَمَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمَا.

وَفِي رَوَايَةٍ أُخْرَى عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَزُورُ الْأَنْصَارَ، فَيُسَلِّمُ عَلَى صِبْيَانِهِمْ، وَيَدْعُو لَهُمْ.

فَكَانَ جَوْ مَجَالِسِهِ بَسِيطًا جَدًّا، وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ الصَّحَابَةُ يَجْلِسُونَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم تَبْجِيلًا عَظِيمًا، وَكَذَلِكَ كَانَ الْأَطْفَالُ مُتَأَدِّبِينَ مَعَهُ جَدًّا. وَمَنْ جَالَسَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، أَوْ كَلَّمَهُ لِحَاجَةٍ، جَلَسَ مَعَهُ بِصَبْرٍ وَأَنَاةٍ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمُنْصَرِفَ. وَكَانَتْ بِسَاطَتُهُ وَأَنَاةُ هَذِهِ تَشْجَعُ الزَّائِرَ عَلَى أَنْ يَذْكُرَ حَاجَتَهُ عَلَى مَا يَرَامُ. وَهَذَا هُوَ الْأَسْلُوبُ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَتَّبِعَهُ الْمُسْئُولُونَ فِي جَمَاعَتِنَا.

عَنِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ رضي الله عنه قَالَ سَأَلْتُ وَالِدِي عَنْ مَجْلِسِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَا يَقُومُ وَلَا يَجْلِسُ إِلَّا عَلَى ذِكْرٍ، وَإِذَا انْتَهَى إِلَى قَوْمٍ جَلَسَ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ الْمَجْلِسُ، وَيَأْمُرُ بِذَلِكَ، وَيُعْطِي كُلَّ جُلَسَائِهِ بِنَصِيْبِهِ، لَا يَحْسِبُ جُلَيْسُهُ أَنْ أَحَدًا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْهُ. وَمَنْ جَالَسَهُ أَوْ فَاوَضَهُ فِي حَاجَةٍ صَابَرَهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمُنْصَرِفَ عَنْهُ، وَمَنْ سَأَلَهُ حَاجَةً لَمْ يَزِدْهُ إِلَّا بِهَا أَوْ يَمْسُورُ مِنَ الْقَوْلِ، (أَيِ كَانَ يُعْطِيهِ مَا سَأَلَ) وَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ إِعْطَاءَهُ شَيْئًا تَكَلَّمَ مَعَهُ بِلُطْفٍ، قَدْ وَسَّعَ النَّاسُ بَسْطُهُ وَخُلُقُهُ، فَصَارَ لَهُمْ أَبًا وَصَارُوا عِنْدَهُ فِي الْحَقِّ سَوَاءً.

كَانَ الْحَدِيثُ فِي مَجْلِسِهِ صلى الله عليه وسلم يَدُورُ عَنْ عِلْمٍ وَحَيَاءٍ وَصَبْرٍ وَأَمَانَةٍ، لَا تُرْفَعُ فِيهِ الْأَصْوَاتُ وَلَا تُنْتَهَكُ فِيهِ الْحُرُمَاتُ، وَلَا يُذْكَرُ فِيهِ عَيُوبُ أَحَدِهِمْ، وَكَانَ الْحَاضِرُونَ فِيهِ سَوَاسِيَةً، يَتَقَاضِلُونَ فِيهِ بِالتَّقْوَى، مُتَوَاضِعِينَ يُؤَفِّرُونَ فِيهِ الْكَبِيرَ وَيَرْحَمُونَ فِيهِ الصَّغِيرَ، وَيُؤَثِّرُونَ ذَا الْحَاجَةِ وَيَحْفَظُونَ الْعَرِيبَ. (شَمَائِلُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم)

كَانَتْ مَجَالِسُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بَسِيطَةً كَمَا وَرَدَ ذِكْرُهُ فِي رَوَايَةٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: جَالَسْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم

أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ مَرَّةٍ، فَكَانَ أَصْحَابُهُ يَتَنَاشَدُونَ الشَّعْرَ، وَيَتَذَكَّرُونَ أَشْيَاءَ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ وَهُوَ سَاكِتٌ، فَرُبَّمَا يَتَبَسَّمُ مَعَهُمْ. كانت مجالسه بسيطة. (سنن الترمذي، أبواب الأدب)

ورد في رواية أخرى عَنْ أَبِي ذَرٍّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما قَالَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْلِسُ بَيْنَ ظَهْرَيَّ أَصْحَابِهِ فَيَجِيءُ الْعَرَبُ فَلَا يَدْرِي أَيُّهُمْ هُوَ (أي النبي ﷺ) حَتَّى يَسْأَلَ. (سنن أبو داود، كتاب السنة)

لقد سمعنا واقعة هجرة النبي ﷺ إلى المدينة مراتٍ كثيرة، وفيها أيضًا مثالٌ على بساطته. وقد بينها المصلح الموعود ﷺ على هذا النحو: وقع في هذه الهجرة أمرٌ دلَّ على كمال بساطة رسول الله ﷺ. فإن أكثر أهل المدينة لم يكونوا يعرفون هيئته. وحين كان جالسًا تحت شجرة خارج قُباء، أسرع أهل المدينة إليه، ولأن رسول الله ﷺ كان جالسًا في بساطة شديدة، لذا ظن الذين لا يعرفونه أن أبا بكر ﷺ هو رسول الله ﷺ، وإن كان أصغر سنًا من رسول الله ﷺ، لكن في لحيته بعض الشعر الأبيض، وكان لباسه كذلك أفضل قليلًا من لباس رسول الله ﷺ، لذا توجهوا إليه وجلسوا أمامه بكل احترام. فلما رأى أبو بكر ﷺ ذلك أدرك أن الناس يقعون في الخطأ، فبادر إلى بسط رداءه وقام في مواجهة الشمس، وقال: يا رسول الله، إن أشعة الشمس تصيبك، فدعني أظلك. وبهذا الأسلوب اللطيف بين للناس خطأهم. (مقدمة تفسير القرآن)

تحدث أنس بن مالك ﷺ عن بساطة النبي ﷺ، فقال: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ، فَأَنَاحَهُ فِي الْمَسْجِدِ (أي في فناء المسجد أو صحنه) ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ وَالنَّبِيُّ ﷺ مُتَكَيِّئٌ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ، فَقُلْنَا: هَذَا الرَّجُلُ الْأَبْيَضُ الْمُتَكَيِّئُ. فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: "قَدْ أَجَبْتُكَ". فَقَالَ الرَّجُلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنِّي سَأُثَلِّثُكَ فَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ، فَلَا تَجِدْ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ. فَقَالَ ﷺ: "سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ". فَقَالَ: أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ، اللَّهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ؟ فَقَالَ: "اللَّهُمَّ نَعَمْ". قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ، اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ؟ قَالَ: "اللَّهُمَّ نَعَمْ". قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ، اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ؟ قَالَ: "اللَّهُمَّ نَعَمْ". قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ، اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَانَا فَتَقْسِمَهَا عَلَى فُقَرَائِنَا؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "اللَّهُمَّ نَعَمْ". فَقَالَ الرَّجُلُ: آمَنْتُ بِمَا جِئْتَ بِهِ، وَأَنَا رَسُولٌ مِنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي، وَأَنَا ضِمَامٌ بِنِ ثَغْلَبَةَ أَخُو بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ. رواه البخاري. (صحيح البخاري، كتاب العلم)

كذلك كان النبي ﷺ يوصي الصحابة بالتحلي بالبساطة. فجاء عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺ قَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَبْعٍ وَهَئَانَا عَنْ سَبْعٍ هَئَانَا عَنْ خَاتِمِ الذَّهَبِ وَبُسِ الْحَرِيرِ وَالِدِّيَّاجِ^٢ وَالْإِسْتَبْرَقِ^٣ وَعَنِ الْقَسِيِّ (وهو ثوب مطرز يأتي من مصر ويستخدم فيه الحرير) وَالْمِثْرَةِ^٤. وَأَمَرَنَا أَنْ نَتَّبِعَ الْجَنَائِزَ، وَنَعُودَ الْمَرِيضَ، وَنُقْشِي

^٢ الدِّيَّاج: هو الثَّيَابُ المُنْخَذَةُ مِنَ الْحَرِيرِ الرَّقِيقِ.

^٣ الْإِسْتَبْرَق: نوع من الحرير السميك.

^٤ المِثْرَةُ: غطاء للسرير من حرير أو جلد وقيل هي الفراش اللين.

السَّلامَ. (صحيح البخاري، كتاب المرضى)

قال الإمام ابن حجر، شارح صحيح البخاري، في أسباب تحريم الحرير على الرجال أن أحدها الفخر والحِلياء، والثاني: فيه التَّأَثُّثُ وَالتَّزَيُّنُ بِمَا لَا يَلِيْقُ بِشَهَامَةِ الرِّجَالِ؛ بَلْ هُوَ مِنْ شَأْنِ النِّسَاءِ. والثالث التشبه بالمشركين. وأما النهي عن الميثة أي السروج المصنوعة من الحرير، فقال: النَّهْيُ عَنْ ذَلِكَ لِمَا فِيهِ مِنْ مُشَابَهَةِ الْأَعَاجِمِ أَيْ مُلُوكِهِمْ وَأَهْلِ التَّرَفِ، أَوْ لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِسْرَافِ، أَوْ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّزَيُّنِ بِغَيْرِ مُوجِبٍ. (فتح الباري)

وكذلك ورد بيان علة تحريم تحلي الرجال بالذهب: وَكَانَ رِجَالُ الْفَارِسِ وَالرُّومِ وَنِسَاؤُهُمْ يَتَحَلَّلُونَ بِالْحُلِيِّ مِنَ الذَّهَبِ، وَكَانَ كِسْرَى وَقِيَصَرُ وَأَهْلُ الْجَاهِ وَالْمَالِ يَلْبَسُونَ أَسْوَرَةَ الذَّهَبِ الَّتِي تَمَلَأُ أَعْضَادَهُمْ، وَيَتَخَذُونَ فَلَايِدَ وَتِيحَانًا وَسَلَاسِلَ مِنَ الذَّهَبِ؛ يَجْعَلُونَ ذَلِكَ زِينَةً وَفَخْرًا وَتَكَبُّرًا وَعُغْلًا فِي الْأَرْضِ، وَكَانُوا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ فِي آيِنَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَكَانَ فَرَاعِنُهُ مِصْرَ كَثِيرًا مَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ. (فتح المنعم، شرح صحيح مسلم)

وكذلك ورد في رواية أن النبي ﷺ كان يذهب إلى بيوت الصحابة لعيادتهم بكل بساطة. قال جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما: مَرِضْتُ مَرَضًا فَأَتَانِي النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُنِي وَأَبُو بَكْرٍ وَهُمَا مَاشِيَانِ، فَوَجَدَانِي أُعْمِي عَلَيَّ فَتَوَضَّأَ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ صَبَّ وَضُوءَهُ عَلَيَّ فَأَفَقْتُ. (صحيح البخاري، كتاب المرضى)

لم يكن في حياة النبي ﷺ أي تكلف بل كانت حياته بسيطة للغاية. وكان ينصح الصحابة أيضا دائما ليعيشوا عيشا بسيطا، وذلك بغية إصلاحهم.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُودُ رَاحِلَتَهُ، وَيَمْشِي هُنَيْهَةً بَعْدَ الصُّبْحِ وَبَعْدَ الْعَصْرِ. وقد ورد في الروايات أنه ﷺ كان يعيش عيشا بسيطا ويعلم الآخرين أيضا ليعيشوا بالبساطة.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا يَوْمَ بَدْرٍ كُلُّ ثَلَاثَةٍ عَلَى بَعِيرٍ، كَانَ أَبُو لُبَابَةَ، وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، زَمِيلَي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: وَكَانَتْ عُقْبَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَقَالَا نَحْنُ نَمْشِي عَنْكَ، فَقَالَ: "مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي، وَلَا أَنَا بِأَعْنَى عَنِ الْأَجْرِ مِنْكُمَا". أي أنا أيضا بحاجة إلى الأجر والثواب، وسنعمل بحسب المبدأ الذي اتفقنا عليه.

عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَلَا عَبْدًا وَلَا أَمَةً إِلَّا بَعَلْتُهُ الْبَيْضَاءَ الَّتِي كَانَ يَرْكُبُهَا وَسِلَاحَهُ وَأَرْضًا جَعَلَهَا لِابْنِ السَّبِيلِ صَدَقَةً.

يقول سيدنا المصلح الموعود ﷺ في بيان سوانح النبي ﷺ: ثَبَتَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَتَنَاوَلُ أَطْيَبَ الْأَغْذِيَةِ وَأَجُودَهَا إِذَا وَجَدَتْ، وَلَكِنْ ثَبَتَ عَنْهُ أَيْضًا أَنَّهُ جَاعَ وَاعْتَرَتْهُ الْفَاقَةُ، وَفِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ تَطُولُ فِتْرَةُ الْجُوعِ حَتَّى يُضْطَرُّ إِلَى شَدِّ بَطْنِهِ وَقَمَطِهِ.

هناك رواية أخرى عن البساطة في حياته ﷺ التي تدل على أن حياة النبي ﷺ كانت بسيطة جدا: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَغْلِفُ الْبَعِيرَ، وَيُتِمُّ الْبَيْتَ، وَيَخْصِفُ النَّعْلَ، وَيَرْقَعُ الثَّوبَ،

وَيَجْلِبُ الشَّاةَ، وَيَأْكُلُ مَعَ الْخَادِمِ، وَيَطْحَنُ مَعَهُ إِذَا أَعْيَا. وَكَانَ لَا يَمْنَعُهُ الْحَيَاءُ أَنْ يَحْمِلَ بِضَاعَتَهُ مِنَ السُّوقِ إِلَى أَهْلِهِ، وَكَانَ يُصَافِحُ الْغَنِيَّ وَالْفَقِيرَ، وَيُسَلِّمُ مُبْتَدِيًّا، وَلَا يَخْتَفِرُ مَا دُعِيَ إِلَيْهِ وَلَوْ إِلَى حَشْفِ التَّمْرِ^٥. وَكَانَ هَيِّنَ الْمُؤْنَةِ^٦، لَيِّنَ الْخَلْقِ، كَرِيمَ الطَّبِيعَةِ، جَمِيلَ الْمَعَاشِرَةِ، طَلِقَ الْوَجْهَ بَسَامًا مِنْ غَيْرِ ضِحْكٍ، مُحْزُونًا (بسبب خشية الله) مِنْ غَيْرِ عُبُوسَةٍ، مُتَوَاضِعًا مِنْ غَيْرِ مَذَلَّةٍ، جَوَادًا مِنْ غَيْرِ سَرَفٍ، رَفِيقَ الْقَلْبِ، رَحِيمًا بِكُلِّ مُسْلِمٍ، لَمْ يَتَجَشَّأْ قَطُّ مِنْ شَبَعٍ، وَلَمْ يَمُدُّ يَدَهُ إِلَى طَمْعٍ. (أي كان صابرا وشاكرا وقانعا بالقليل)

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَيُثِيبُ عَلَيْهَا. (أي كان يقبل الهدية مهما كانت بسيطة، وكان يُهدي أيضا مقابلها)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "اللَّهُمَّ ارْزُقْ آلَ مُحَمَّدٍ قُوتًا"^٧.

فقد تمتى النبي ﷺ حياة البساطة لأولاده ودعا أيضا لذلك.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا عَابَ النَّبِيُّ ﷺ طَعَامًا قَطُّ إِنْ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ وَإِلَّا تَرَكَهُ.

معلوم أن الإنسان لا يستسيغ بعض الأطعمة أحيانا، وما دام هذا هو الأمر الواقع، فما كان النبي ﷺ يقول شيئا، بل كان يتركه بصمت بعد أن يتذوق منه قليلا.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَبَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصُّوفَ، (أي الثوب من الصوف الخشن الدافئ الذي يلبس في الشتاء) وَاحْتَذَى الْمَخْصُوفَ^٨. وَقَالَ: أَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِشْعًا، وَلَبَسَ حَشْنًا. فَقِيلَ لِلْحَسَنِ، مَا الْبَشْعُ قَالَ: غَلِيطُ الشَّعِيرِ، مَا كَانَ يُسَيِّغُهُ إِلَّا بِجُرْعَةٍ مَاءٍ.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وَلَقَدْ رَهَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دِرْعَهُ بِشَعِيرٍ، وَمَشَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِحُبْزِ شَعِيرٍ وَإِهَالَةٍ^٩ سِنْخَةٍ^{١٠}، وَلَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: "مَا أَصْبَحَ لَالٌ مُحَمَّدٌ ﷺ، إِلَّا صَاعٌ، (الصاع مقياس وزن يساوي كيلوين ونصف كيلو) وَلَا أَمْسَى وَإِنَّهُمْ لَتَسْعَةُ أَبْيَاتٍ".

عَنْ يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَضَعَ تَمْرَةً عَلَى كِسْرَةٍ فَقَالَ: "هَذِهِ إِذَا مِ هَذِهِ". (أي أكل ﷺ الخبز مع التمر)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا بِطَعَامٍ سُخْنٍ فَأَكَلَ فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا دَخَلَ بَطْنِي طَعَامٌ سُخْنٌ مُنْذُ كَذَا وَكَذَا".

^٥ حشف التمر : رديئه.

^٦ هَيِّنَ الْمُؤْنَةِ : أي لا يثقل على من يعاشره أو يخالطه.

^٧ القوت : هو الكفاية من غير إسراف.

^٨ احتذى المخصوف : لبس في قدميه النعال.

^٩ إهالة : الشحم أو الزيت.

^{١٠} سنخة: متغيرة الطعم والرائحة من طول الزمان.

عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ ابْنِ أُحْثِي إِنَّ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهَلَالِ ثَلَاثَةَ أَهْلَةٍ فِي شَهْرَيْنِ وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَنْبِيَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَارٌ فَقُلْتُ مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتْ الْأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَيْرَانٌ مِّنَ الْأَنْصَارِ كَانَ لَهُمْ مَنَائِحُ وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِّنْ أَنْبِيَاءِهِمْ فَيَسْقِيْنَاهُ.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تُؤَيِّى النَّبِيُّ ﷺ حِينَ شَبِعْنَا مِنَ الْأَسْوَدَيْنِ التَّمْرَ وَالْمَاءَ. كان التمر متوفرًا عندئذ بكثرة فكانوا يأكلونه ويشربون الماء وبذلك يشبعون. يقول العلامة ابن حجر العسقلاني في شرح هذا الحديث:

الْأَسْوَدَانِ.. التَّمْرُ وَالْمَاءُ، (وإنما التمر وحده يكون أسود وليس الماء كذلك، ولكن قالت عائشة: كنا نشبع من الأسودين، يقول العلامة ابن حجر:) نَعْتًا يَنْعَتُ وَاحِدَ تَغْلِييًّا، وَإِذَا اقْتَرَنَ الشَّيْئَانِ سُمِّيَا بِاسْمِ أَشْهَرِهِمَا. ويقول حضرة المصلح الموعود ﷺ:

إن أصحاب العلاقات الوثيقة بالله تعالى يستهلكون كميات أقل من الطعام؛ أي أنهم يأكلون أقل من غيرهم ممن يماثلونهم في البنية الجسدية والحالة الصحية والقدرة الهضمية. ولا يعني هذا أنه إذا ضعفت معدة أحد أو عجز عن تناول الكثير من الطعام فهذا دليل على بلوغه مرتبة روحية أعلى؛ بل ينبغي أن تكون الظروف الأخرى متكافئة أيضًا، لأنه في ظل ظروف مماثلة، سيستهلك الشخص الأكثر روحانية طعامًا أقل من غيره. ولهذا السبب، أشار النبي الكريم ﷺ إلى أن المؤمن يأكل في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء. وإن مطالعة سيرة النبي الكريم ﷺ توضح أن طعامه كان محدودًا للغاية. يقول المسيح الموعود ﷺ موضِّحًا هذا الموضوع نفسه:

"إن أكل الطيبين والطاهرين حتى الشبع ليس كالذين قال الله تعالى عنهم: ﴿... وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ (محمد: ١٣)، إن أكل رسول الله ﷺ حتى الشبع في حين ما، أمر مختلف، وإذا قورن هذا الشبع مع شبع الذين يأكلون الطعام للتلذذ والتمتع، والذين لا تعدو عيونهم استيفاء الشهوات النفسانية، فلن نستطيع أن نقول عن ذلك الشبع أنه شبع حقيقي، فإن اصطلاح الأطهار والمقدسين في تعريف "الشبع" يباين تمامًا اصطلاح الأنجاس وعبدة البطون، فالأطهار إنما يطلقون اسم "الشبع" على تناول قدرٍ من الغذاء يكفي لإزالة الجوع عمومًا، ويكسب الإنسان القوة على الحركة والقيام بأعماله.

قصارى القول، إن شبع المؤمن هو أكل مقدار من طعامٍ يقيم صلبه، ويمكنه من أداء واجباته، فقياس شبع سيد المرسلين على شبع العامة هو قياس مع الفارق، (أي لا يمكن مقارنته مع عامة الناس، لأنه كان مختلفًا عن الآخرين وكان هناك بونا شاسعًا بينه وبين غيره. يقول حضرته:) وهكذا لم يفهم كثير من الناس الشأن العظيم للنبي الكريم ﷺ ولم يفهموا مؤدَّى الكلمات المستخدمة، وبالتالي ألقوا أنفسهم في الخطأ، لأن قول رسول الله ﷺ "إني شبع" لا يرادف قول أصحاب الدنيا، الذين اعتبروا الطعام غاية حياتهم".

خلاصة القول: لا بد أن يفهم قول الأطهار وعملهم حسب مراتبهم العالية، وقياس أمورهم على غيرهم ليس بصحيح، فإنهم في الحقيقة يكونون خارج هذا العالم، وإن كانوا بحسب الظاهر في داخله. عَنْ أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: مَا كَانَ يُفْضَلُ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خُبْزُ الشَّعِيرِ.

يعني كان الخبز يُعَدُّ بقدر الحاجة فقط، أي بما يكفي للاستهلاك المباشر. ففي عهد النبي الكريم ﷺ كان الخبز المصنوع من القمح أو الدقيق الناعم يُعَدُّ من مظاهر الرفاهية التي لا ينعم بها إلا الأغنياء، ولم يكن يتوفر في منطقته إلا في أحيانٍ نادرة، لأن القمح لم يكن يُزرع في تلك المنطقة، بل كان يُستورد من بلادٍ بعيدة - كالشام - وكان باهظ الثمن. ونتيجةً لذلك، لم يكن يتيسر للنبي الكريم ﷺ في الغالب إلا خبز الشعير البسيط، وكان يأكله ويحمد الله تعالى عليه. وكان هذا الخبز يُصنع من دقيقٍ غير منخول، وحتى هذا الخبز لم يكن متوفرًا بشكلٍ يومي. ولم يقتصر هذا النمط على النبي الكريم ﷺ فحسب، بل شمل أهل بيته أيضًا؛ إذ كانت تمرُّ أيامٌ لا يجدون فيها حتى خبز الشعير، وكما ذكرتُ آنفًا من خلال رواية السيدة عائشة رضي الله عنها بأنهم كانوا يكتفون بالتمر والماء فحسب.

عن نُوْفَلِ بْنِ إِيسَى الْهَذَلِيِّ قَالَ: كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَنَا جَلِيسًا وَكَانَ نِعَمَ الْجَلِيسِ. وَإِنَّهُ انْقَلَبَ بِنَا ذَاتَ يَوْمٍ حَتَّى إِذَا دَخَلْنَا بَيْتَهُ وَدَخَلَ فَأَعْتَسَلَ ثُمَّ خَرَجَ فَجَلَسَ مَعَنَا وَأَتَانَا بِجَفْنَةٍ فِيهَا خُبْزٌ وَلَحْمٌ، فَلَمَّا وَضِعَتْ بَكَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ مَا يُبْكِيكَ؟ فَقَالَ: فَارَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدُّنْيَا وَلَمْ يَشْبَعْ هُوَ وَلَا أَهْلُ بَيْتِهِ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ.

وعن الشَّعْبِ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ: لَقَدْ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَمَا شَبَعَ مِنْ خُبْزٍ، وَزَيْتٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَبِيتُ اللَّيَالِي الْمُتَتَابِعَةَ طَاوِيًا^{١١} وَأَهْلُهُ لَا يَجِدُونَ عِشَاءً، وَكَانَ أَكْثَرُ خُبْزِهِمْ خُبْزُ الشَّعِيرِ.

عَنْ أَبِي حَازِمٍ قَالَ سَأَلْتُ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقُلْتُ: هَلْ أَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّقْيَ^{١٢}؟ فَقَالَ سَهْلٌ: مَا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّقْيَ مِنْ حِينَ ابْتَعَثَهُ اللَّهُ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ. قَالَ أَبُو حَازِمٍ: فَقُلْتُ: هَلْ كَانَتْ لَكُمْ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَنَاخِلُ؟ قَالَ سَهْلٌ: مَا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُنْخَلًا مِنْ حِينَ ابْتَعَثَهُ اللَّهُ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ. قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ كُنْتُمْ تَأْكُلُونَ الشَّعِيرَ غَيْرَ مَنْخُولٍ؟ قَالَ سَهْلٌ: كُنَّا نَطْحَنُهُ وَنَنْفُحُهُ فَيَطِيرُ مَا طَارَ وَمَا بَقِيَ ثَرَيْنَاهُ^{١٣} فَأَكَلْنَاهُ.

قَالَ مَسْرُوقٌ: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ، فَدَعَتْ لِي بِطَعَامٍ وَقَالَتْ: مَا أَشْبَعَ مِنْ طَعَامٍ مَرَّتَيْنِ (في يوم واحد)

^{١١} طاويا : خالي البطن جائعا.

^{١٢} النقّي : الطحين المنخول نخلا جيدا، والمصنوع من القمح الصافي.

^{١٣} ثَرَيْنَاهُ : ثَرَى أي بلل بالماء.

فَأَشَاءُ أَنْ أَبْكِي إِلَّا بَكَيتُ. قُلْتُ لَمْ؟ قَالَتْ: أَذْكُرُ الْحَالَ الَّتِي فَارَقَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدُّنْيَا، وَاللَّهُ مَا شَبَعَ مِنْ حُبِّهِ وَلَحْمٍ مَرَّتَيْنِ فِي يَوْمٍ.

فلم تقل السيدة عائشة رضي الله عنها إني لا أتناول الطعام، لأن النبي ﷺ لم يأكل. يجب أن يشكر المرء على نعم الله ﷻ ويأكل ما تيسر له، وإلا فالامتناع عن الطعام أيضاً من الكفر بالنعم. إنما كانت تتذكر في مثل هذه الحالة رسول الله ﷺ إذ لم يشبع قط من وجبتين. فالأصل أن على الإنسان أن ينتفع بما تيسر له من نعم، ويتذكر ما كان عليه في الماضي.

يقول حضرة زين العابدين ولي الله شاه في شرح البخاري: ماذا كان يأكل النبي ﷺ وأصحابه، فهذه الأحداث من حياة الصحابة مذكورة في الروايات، حيث كانوا في صدر الإسلام يواجهون الجوع والفقر والضائقة المالية، لكنهم كانوا يتمتعون بالقناعة والتوكل حتى في تلك الحقة وكانوا راضين بما أعطاهم الله ﷻ، ثم عندما وجدوا المال لم تتغير قناعتهم وتوكلهم وتواضعهم، فقد قضوا كلا العهدين شكراً وتقديراً لنعم الله وتذكراً لأفضاله ﷻ.

يقول سيدنا المصلح الموعود: لما انهزم كسرى وقعت في أيدي المسلمين غنائم كثيرة منها طواحين هوائية تطحن الحبوب طحناً دقيقاً، وكان أهل مكة والمدينة قبلها يدقون الحبوب على الأحجار والصخور ويزيخون القشور بالنفخ ويخبزون بالطحين، فلما أعد السميد بالطواحين الهوائية أول مرة أمر سيدنا عمر ﷺ بأن يُبعث إلى عائشة رضي الله عنها لتكون أول من تأكل الخبز الناعم من ذلك السميد. فأرسل السميد إلى حضرته تنفيذاً لأمره، فأمرت خادماً لها لتعجنه وتصنع منه الخبز، فلما قُدمت لحضرته أرغفة ناعمة وساخنة، أخذت منها لقمة شاكرةً لله تعالى، ووضعتها في فمها، فسرعان ما بدأت عيناها تذرفان الدموع. فاستغربت النساء حولها من بكائها، فسألته إحداهن ما يُكيك؟ لماذا يغصّ هذا الرغيف الناعم الرائع في حلقك؟! قالت: إن الرغيف لا يغصّ في حلقي لجفافه، وإنما لنعمته. لم تجعلني وقائع الحزن حزينة، بل قد جلبت لي ساعة الفرحة حزناً، (فهي مناسبة مفرحة أننا وجدنا المال والنعم بحسب النبوءات)، إننا نرفل اليوم في هذه النعم ببركة النبي ﷺ، ولكنه عندما كان بين ظهرانينا لم تكن النار توقد في بيوتنا لأيام، ولم يكن الخبز عندنا إلا من دقيق خشن قد طُحن يدوياً بالمدق الحجري وإزاحة القشور بالنفخ، ففكرت أن النبي ﷺ الذي بفضلله وجدنا هذه النعم ليس فينا، فلو كان معنا لقدّمنا له هذه النعمة ونثرنا على قدميه هذه الثروات. لكننا أصبحنا نرفل في هذه الخيرات مع أنه لا دخل لنا في هذه الإنجازات. هذا ما أحزني، فغصّت لقمة الرغيف الناعم في حلقي. (التفسير الكبير مجلد ٩)

عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْأَقْمَرِ قَالَ، سَمِعْتُ أَبَا جُحَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَا أَكُلُ مُتَكَبِّئًا». أي لا أسند ظهري خلفي أثناء الطعام.

وقد كتب في شرح هذا الحديث العلامة ابن حجر، لماذا لم يكن يأكل متكبئاً، لِأَنَّهُ مِنْ فِعْلِ (المتكبرين)

وَالْمُتَعَظِّمِينَ وَأَصْلَهُ مَأْخُودٌ مِنْ مُلُوكِ الْعَجَمِ، فَإِنْ كَانَ بِالْمَرْءِ مَانِعٌ لَا يَتِمَّكَنُ مَعَهُ مِنَ الْأَكْلِ إِلَّا مُتَّكِئًا لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ كَرَاهَةً.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ: أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِطَعَامٍ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، لَوْ أَكَلْتَ وَأَنْتَ مُتَّكِئٌ كَانَ أَهْوَنَ عَلَيْكَ. فَأَصْغَى بِجَبْهَتِهِ إِلَى الْأَرْضِ حَتَّى كَادَ يَمَسُّ بِهَا الْأَرْضَ، وَقَالَ: «بَلْ أَكُلْ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وَأَنَا جَالِسٌ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ». (سبل الهدى والرشاد)

لقد وضح ذلك حضرة المصلح الموعود ﷺ وقال: عندما كان ﷺ يبدأ الطعام كان يجلس ملتفتا إلى الطعام، وكان يقول: لا يعجبني التصرف الناجم عن التكبر حيث يتناول البعض الطعام متكئين، وكأنهم في غنى عن الطعام، ولا يعبأون به.

يقول سيدنا المسيح الموعود ﷺ: "لقد كانت لنا في رسول الله ﷺ أسوة كاملة في كافة مجالات الحياة، فانظروا إلى حياته لتعرفوا كيف كان يعاشر زوجاته. فالذي يهتّب لخصام المرأة جبان وشقي عندي. ادرسوا حياة النبي ﷺ لتعلموا كم كان دمث الأخلاق. كان ذا هيبة عظيمة، ومع ذلك لو أوقفته امرأة ضعيفة توقف إلى أن تسمح له بالانصراف. كان يشتري حاجيات البيت بنفسه. ذات مرة اشترى النبي ﷺ شيئا، فقال له صحابيُّ أرجوك أن تعطينيه لأحملة لك، فقال ﷺ يجب أن يحمل الشيء صاحبه. ولكن يجب ألا يُفهم من ذلك أنه كان يجلب حمل الحطب أيضا. (أي أن يقول أحدهم إنه ﷺ إذا كان يحمل أغراضه بنفسه فهل كان يقطع الحطب من الغابة ويحملة على رأسه؟ كلا، بل كان يطلب من أحدهم حملة، وإنما المراد هنا مشتريات عادية من السوق فكان يحملها بنفسه. قال حضرته ﷺ): إنما الهدف من ذكر هذه الأحداث أن نعرف بها بساطته وعدم تكلفه ﷺ. كان يمشي على الأقدام عادة ولم يبال إن سبقه أحد، (فلم يكن في تلك الأيام يلاحظ هل تقدم فلان أو تأخر)، على عكس بعض الأنانيين اليوم حيث يستاءون إذا مشى أمامهم أحد. كانت حياته متسمة بالبساطة حتى إن الناس كانوا لا يستطيعون أحيانا أن يعرفوا من هو رسول الله وهو جالس بين صحابته. عندما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة كانت لحية أبي بكر ﷺ قد ابيضت، فظن القوم أنه هو رسول الله، فقام أبو بكر ﷺ يخدمه وهكذا أخبرهم من هو النبي ﷺ. مرة سابق النبي ﷺ عائشة رضي الله عنها وسبقها، وفي المرة التالية هدأ من سرعته لكي تسبقه عائشة، فسبقتها.

وورد أنه جاء النبي ﷺ ذات مرة بعض الأحباش الذين كانوا يقومون ببعض الألعاب، فجعل النبي ﷺ السيدة عائشة تتفرج على ألعابهم، حتى جاء عمر ﷺ، فلما رآه الأحباش انصرفوا.

باختصار، إذا درس المرء حياة النبي ﷺ دراسة عميقة تعلم منها الكثير. ولكن هناك بعض الأغبياء العميان الذين لا يتدبرون حياته ﷺ، ويسطون ألسنتهم بالاعتراض عليه. هذا هو حال المسيحيين والآريين".

بعض الناس اليوم أيضا يتطاولون بألسنة بذيئة على الإسلام وعلى النبي ﷺ. ومهما يكن من أمر، إن مقامه ﷺ رفيع جدًا، وفي كل عمل له أسوة لنا. اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، وبارك وسلّم، إنك حميد مجيد.
